المحاضرة الأولى : الوضع العام في الجزائر عشية الاحتلال

واقع العلاقات الجزائرية الفرنسية قبل الاحتلال

قبل الحديث عن احتلال فرنسا للجزائر لنا في البداية أن نشير لطابع العلاقات البلدين قبل الاحتلال بشيء من الإيجاز

تميزت العلاقات بين البلدين بنوع من الاستقرار النسبي خلال فترة الحكم العثماني ، ففرنسا تعتبر أول دولة تحصل على امتيازات تجارية في السواحل الجزائرية إبان القرن 16م وعند إدراك فرنسا لبدايات الضعف الجزائر داخليا وخارجيا بفعل الغارات المتتالية اشتداد التنافس بين الدول الاوربية على مناطق النفوذ في سواحل شمال إفريقيا ، فأخذت فرنسا تنسج المشاريع لاحتلال الجزائر بداية من 1791 لكن ونظرا للظروف الاقتصادية السيئة التي اجتاحت فرنسا والمتمثلة في المجاعة فقد وجدت فرنسا كافة الدعم والمساندة من طرف الجزائر التي زودتها بشحنات القمح - اللحوم -الزيوت -الجلود والقروض المالية وتمكنت على اثرها فرنسا من تجاوز خطر المجاعة الذي كاد يفتك بسكانها وعليه تحسنت علاقتها بالجزائر بعض الشيء

لتشهد بعد ذلك بداية توتر بفعل الحملة الفرنسية على مصر 1798والذي قطعت فيها الجزائر علاقتها بفرنسا بل اعلنت الحرب غير انه سرعان ما تحسنت العلاقات بينها بعد انسحاب فرنسا من مصر وعقد لمعاهدة على اعادة العلاقات السياسية والتجارية بينهما غير ان الصلح لم يدم طويلا بالنظر لرغبة نابليون في اعادة مشروع غزو في احتلال دول المغرب فاخذ في ارسال البعثات الاستكشافية "جون بون سان اندري"قنصل سابق في الجزائر عام 1799 و"تيدانا"نائب مفوض العلاقات التجارية 1800فارسلت حملة عام 1802غير أنها لم تنل من الجزائر شيئا غير أنها جردتها من ممتلكاتها 1807ومنحتها لانجلترا وهنا بدأت تفكر في الاحتلال ودرء الخطر الانجليزي ولكن نابليون لم يتمكن من تحقيق غزوه لبلدان المغرب لانشغاله بالحروب الأوربية وعودت العلاقات من جديد مع فرنسا والجزائر بعد حملة الانجليز على الجزائر 186واسترجعت فرنسا امتيازاتها من جديد 1817غير ان هذه العلاقات لم تدم طويلا اذ سرعان ما توترت بفعل حادثة المروحة الشهيرة بين الداي حسين القنصل الفرنسي دوفال عام 1827/04/27لتشهد العلاقات منحى آخر.

2/الحصار البحري :

بعد عودت دوفال إلى بلاده اعتبرت الحكومة الفرنسية فرصة مناسبة لفرض حصار على السواحل الجزائرية بداية من 16 جوان 1827 إلى 18 جوان 1830

وفي 13 جوان 1827 وصل الضابط كولي الى ميناء الجزائر على رأس قطع أسطول بحري حاملا معه انذار للداي حسين لارسال وفد ممن كبار الموظفين إلى الاسطول الفرنسي ليقدم اعتبارات الداي للقنصل ثم رفع الراية الفرنسية في القلاع الجزائرية وقصر الداي والميناءظن طلق مئة طلقة مدفعية تحية لها (فرنسا) ، رفض الداي الشروط خلال 24 ساعة وفي 16 جوان بدأ الحصار الذي كان لأجل :

احداث مجاعة

اثارة مشاعر سكان الجزائر ضد السلطة

اجبار الداي على قبول الشروط

مجريات الحصار

قامت فرنسا بسد جميع طرق المواصلات البحرية في وجه الجزائر فحدث نقص كبير في الواردات الأوربية وأضحى الأهالي يشتكون من قلة الكسب

شمولية الحصار لجميع موانيء الجزائر وعدم اقتصاره على مدينة الجزائر فحسب وبفعل مدة الحصار والخسائر التي لحقت التجارة الفرنسية قدم مقترح الغزو لكنها رفضته لعدم استكمال الاستعدادات فحاول الطرف الفرنسي القيام بمحاولات دبلوماسية للتفاوض مع الداي حسين لكن الداي رفضها فكان الحل هو إعداد الحملة.

3/الحملة :

بعد المصادقة على مشروع الحملة من قبل الحكومة الفرنسية والملك شارل العاشر يوم 30 جانفي 1830عملت السلطات الفرنسية على تهيئة الرأي العام الفرنسي والأوربي لتقبل أسباب الحملة بكونها انتقاما لكرامة فرنسا وأوربا المسيحية، لقيت تأييدا من مختلف الدول الأوربية باستثناء انجلترا التي قدمت لها ضمانات بأنها لن تبقى في الجزائر أكثر من شهر أو شهرين ،جهزت القوات الفرنسية نفسها وانطلقت من ميناء طولون يوم 16 ماي 1830 على متن 500 سفينة

حربية لكن العملية اجهضت بسبب العواصف ،وفي يوم 14 جوان 1830على الساعة الواحدة صباحا نزلت القوات الفرنسية المكونة من 37000عسكري من بينها 16قسيسا بقيادة الجنرال ديبرمون بسيدي فرج فلم تجد أي مقاومة تذكر ومكثت هناك مدة أربعة أيام في انتظار امدادات أخرى بينما كان الجيش الجزائري يضم 7000عسكري و 40.000 متطوع قدموا من الجزائر وقسنطينة ووهران غير منظم وبحوزتهم أسلحة محدودة يقودها صهر الداي الآغا إبراهيم .

وأثناء قيام الداي باستنجاد بنوابه ويحث السكان على الجهاد كانت القووات الفرنسية تحفر الخنادق لحماية معسكرها والداي بدل القيام بهجوم على الفرنسيين في سيدي فرج أقام لهم معسكر باسطوالي وفي مساء يوم 18 جوان 1830هاجم الجزائريون الجيش الفرنسي وكبدوه خسائر كبيرة وو صلوا تحصيناتهم لكن الجيش الفرنسي تغير وضعه فولا وصول الامدادات العسكرية اليه فاجتاح به قوات الجزائر باسطوالي والحق بهم هزيمة وواصلت قوات ديبرمون الزحف للعاصمة وفقا لمخطط الجاسوس بوتان سنة 1808وفي 24 جوان استولت على سيدي خالف وأثناء هذه المعارك عزل الداي الآغا إبراهيم وعين بدلا منه الباي مصطفى بومزراق رغم شجاعة الجيش لكن الأمر آل إلى سقوط حصن الإمبراطور والمعروف ببرج الطاوس في يد الفرنسيين بعد أربعة أيام من المعارك هو أكبر مركز دفاعي للأتراك وفي المساء ذهب وفد الداي رفقة القنصل الانجليزي للتفاوض وقدم له ديبرمون شروط الصلح ووقع الداي على المعاهدة الاستسلام يوم 05 جويلية 1830على الساعة العاشرة .

وفي 07 جويلية 1830 أمر الداي بإجلاء مدينة القصبة ورحل عن الجزائر رفقة حاشيته إلى مدينة نابولي بإيطاليا فأصاب سكان الجزائر الرعب وفر منها حوالي 10000 من سكانها

4/الوضع في الجزائر عشية الاحتلال

لم تجد الوعود الرنانة التي تقدم بها الطرف الفرنسي للسكان الجزائر نفعا وذلك لنكه و عوده ويتملص منها بسرعة فاستولى على خزينة الدولة التي كانت تحوي ما لا يقل عن 50 مليون دولار سنة 1830 كما استولوا على أموال الخاصة والعامة وحولت المساجد إلى كنائس واعتدت على المواطنين والأعراض نفت العائلات التركية وشكلت لجنة حكومية تتكفل بإدارة الجزائر ومجلس بلدي مختلط برئاسة الجزائري أحمد بوضربة وإصدار قوانين باسم ملك فرنسا أيقنت الشعب الجزائري بأن الاحتلال دائم

وعموما يمكن تلخيص الوضع في الجزائر كالتالي :

سياسيا :

- انتهاء الحكم العثماني
- فقدان الجزائر استقلالها السياسي
- توقيع الداي على وثيقة الاستسلام وانسحابه من الساحة السياسية
- اعلان احتلال فرنسا للجزائر الذي شرع في بسط نفوذه في ربوع الوطن

وما يمكن تسجيله هنا أن الجزائريون انضم للاستعمار وقاوموه مع بداياته بداية بالمقاومة العسكرية والسياسية ثم العسكرية التي عرقلة من عملية توسيع الاحتلال الفرنسي أكثر في العمق الجزائري .

أما اقتصاديا واجتماعيا :

- انهيار الاقتصادي بفعل الاستيلاء الممنهج على الأرض
- تحول الجزائرين إلى عمال أجراء وخماسة بعد كانوا ملاك على أراضيهم
- تفتيت القبائل باعتبارها أحد البنى الاقتصادية والاجتماعية والنضالية
- ترويع السكان من خلال انتهاج سياسية الأرض المحروقة

ثقافيا :

- العمل على طمس الهوية
- محاربة الدين الإسلامي والتضييق على المسلمين
- نشر التعليم الفرنسي ومحاربة التعليم العربي
- نشر الثقافة الفرنسية